مجلة اللسانيات التطبيقية ISS N : 2588-1566 الصفحات: 135-123
المجلد: 04 العدد: 07 السنة: 2020

الوظائف التّداوليّة في نظريّة النّحو الوظيفي. المفهوم والأنواع

Deliberative Functions in Functional Grammar Theory - Concept and Types

رشيد ملياني
جامعة الجزائر 2 (الجزائر)
rachidabohala@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/02/12	تاريخ القبول: 2020/04/14

الملخّص:

يسعى هذا البحث إلى تحديد الوظائف الدّاخلية والخارجية للّغة العربيّة، وموضوعات المحاور ولواحقه، والكشف عن مكوّنات الجملة طبقا للعلاقة القائمة بين المتكلّم والمخاطَب، في طبقة مقامية معيّنة، وهي أساس تميّز النّحو الوظيفيّ عن الأنحاء البنوية، حيث سعى أصحاب النّحو الوظيفي إلى رصد جميع الوحدات التّركيبية في عدّة لغات مختلفة، قصد حصر مختلف الأدوار التي يمكن أن تقوم بها مكوّناتها أثناء العملية التّواصلية، في محاولة ربطها بالمدوّنة اللّغوية القديمة مع استجلاء علاقتها بالممارسة اللّغوية الحالية بمختلف أشكالها.

الكلمات المفتاحية: الوظيفية، التّداوليّة، الوظائف، الإسناد.

Abstract:

This research aims at identifying the internal and external functions of Arabic, the themes and the right of the axes, and at disclosing the sentence's components according to the relationship between the speaker and the interlocutor, in a particular rank class. It is the basis for distinguishing functional grammar from the structural ones, where functional staff looks for monitoring all the synthetic units in several different languages. This is in order to capture the various roles they could play its components during in the process of communication, in an attempt to link them to the old language code, while clarifying their relation with the current language practice in its different forms.

Key words: Functional, pragmatics, functions, attribution

المؤلف المرسل: رشيد ملياني

مقدّمة:

لا تخلو أيّ لغة من اللّغات الحيّة في العالم قديما أو حديثا، من إشكاليات تحيط بها أو تصاحبها أثناء مسيرتها، ذلك أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعية، ليست بمعزل عن محيطها، وقد برزت حديثا نظريات لسانية ومقاربات منهجية تجاوزت بفعل المثاقفة الحدود المحليّة، فأصبح الحقل النّقدي واللّساني يقوم على أساس التّأثير والتّأثر، القرض والاقتراض، ولذلك حاول النّاقد المغربي" أحمد المتوكل " إقامة حوار مثمر بين الفكر اللّغوي العربي القديم والفكر اللّساني الحديث، وتعود البدايات الأولى للمشروع الكبير الذي تبنّاه مطلع الثّمانينات، إذ اشتغل على درس التّراث اللّغوي العربي القديم، لِما يزخر به من عديد المفاهيم والآليات الإجرائية التي عادت إلينا اليوم من بوابة النّقد الغربي بمختلف علومه وتخصّصاته، كالإعلاميات والتداولية ونظريات الاتّصال، وتمحورت دراساته حول نظرية النّظم وظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث النّقدي واللّغوي.

وبعد أن سبر أغوار الفكر اللغوي العربي سخّر جهوده لقراءة مؤلفات اللساني الهولندي "سيمون ديك" رغبة منه في إقامة جسر من التّواصل بين الفكرين اللّغويين العربي والغربي، ومن الكتب التي أخرجها في بداياته الأولى نجد كتاب" الوظائف التداولية في اللّغة العربية"، الذي حاول فيه جاهدا استلهام النّموذج الغربي الّذي برز عام **1979** في أعمال " سيمون ديك " لتطبيقه على النّحو العربي، إذ حاول أن يرسم معالم واضحة لنظرية وظيفية جديدة للنّحو العربيّ، حتى إنّها مرشّحة لأن تكون بديلة للنّظرية النّحوية القديمة، نظرا لمزاياها الكثيرة وكفاياتها المتعددة.

أمّا عن الإشكالية المعرفية التي انْبنَى عليها هذا البحث يمكن صياغتها كالآتي: كيف تمّ تحديد هذه الوظائف، وبيان عناصرها وقيمتها في البنى اللّسانيّة، والمجال الوظيفيّ للّغة؟

وعليه يمكن طرح مجموعة من التّساؤلات الفرعيّة:

- ما المقصود بهذه الوظائف في نظرية النّحو الوظيفيّ؟
- ما أنواعها وطرق تحديدها، وكيفية اشتغالها؟
- ما مدى مقاربتها إجرائيا لتفسير العملية التّواصليّة في بعدها الوظيفيّ؟

1- الجهاز المفاهيميّ العامّ لنظريّة النّحو الوظيفيّ:

كان لتأثّر اللّسانيين العرب المحدثين باللّسانيات الغربية أثر بالغ الأهميّة، في تنوّع الاتّجاهات اللّسانية العربية الحديثة، فمنهم من كان بنويّا، ومنهم من كان توليديّا، في حين نجد من سلك اتّجاها آخر وهو "الاتّجاه الوظيفيّ" من أجل التأسيس لنظرية وظيفية عربية ويمثل هذا الاتّجاه في الوطن العربي " أحمد المتوكل " ، حيث قدّم كتابات عديدة، تصف وتفسّر العديد من قضايا اللّغة العربية، من منظور وظيفيّ، فاستطاع أن يقدّم نظرية لسانية، أعادت قراءة التّراث اللّغوي العربي، بمنظور لسانيّ حديث، ووضع جسر بين الفكرين العربي القديم، والنّحو الوظيفيّ، وهذا يهدف إلى[1]:

- إغناء النّحو الوظيفيّ بتحليلات ومفاهيم يستلزمها وصف الوظائف الخمس في اللّغة العربيّة خاصّة، دون أن يمسّ اقتراض هذه التّحليلات والمفاهيم بالمبادئ المنهجيّة المعتمدة في النّحو الوظيفيّ ولا ببنية النّحو المقترحة.

- تقويم مجموعة من الأوصاف المقترحة في النّحو العربي، أو البلاغة العربيّة بالنّسبة لوظيفة المبتدأ ووظيفة البدل (والتّابع بصفة عامّة)، وظواهر التّخصيص والحصر، والعناية، والتّوكيد، وغيرها.

- تجاوز الهنات وإعادة بناء نحو يستجيب للنّظرة الشّموليّة في وصف ظواهر اللّغة العربية وتفسيرها.

2- تعريف الوظيفية:

يرد مصطلح الوظيفيّة دالاّ على **علاقة**، والمقصودُ العلاقة القائمة بين مكونين أو مكونات في المركب الاسمي، ففي الأنحاء الصورية يستعمل هذا المصطلح للدلالة على العلاقات التركيبية كعلاقة الفاعل والمفعول، وفي الأنحاء ذات المنحى الوظيفي يستخدم للدلالة على كل العلاقات التي يمكن أن تقوم داخل الجملة أو داخل المركّب"[(2)]." فالقواعد النحوية ليست مجرد معلومات تفهم وتضاف إلى الذخيرة الذهنية من ألوان المعرفة، ولكنّها وسيلة إلى غاية"[(3)]

وللوظيفة مفهومٌ ثان هو مفهوم الدور، ويُقصد به "الغرض الذي تسخر الكائنات البشرية اللُّغات الطبيعية من أجل تحقيقه".[(4)]

ويمكن القول أنّ هذا التّباين لا يُؤخذ على عمومه، فمفهوما العلاقة والدّور بينهما علاقة عموم وخصوص، إذ بالإمكان أن ترد الوظائف علاقات أولى في نحو ما .

- الوظائف التداولية في اللغة العربية:

الجملة فعل لغوي، قد يتجسّد في جملة خبرية أو إنشائية ، تُؤوَّل إلى أفعال لغوية متعدّدة، يعتمدها مستعمل اللّغة الطّبيعية لتغطية احتياجاته اللّغوية في عشيرته اللّغوية التي يعيش فيها.

واستنادا لأبحاث أحمد المتوكّل في النّحو العربي، ولأدبيات نظرية النّحو الوظيفي يمكن أن نميز على مستوى كل جملة ثلاث بُنًى أساسية هي: البنية الحملية و البنية الوظيفية والبنية المكونية.

-البنية الحملية: تتجسد في بنيتين متحدتين، هما بنية الحمل وبنية الدّلالة.

- **البنية الوظيفية:** تنقل البنية الحملية التّامة التّحديد إلى بنية وظيفية بوساطة تطبيق قواعد إسناد الوظائف وقواعد تحديد مُخصّص الحمل.

- **البنية المكونية:** تسند فيها جملة قواعد تسمى قواعد التّعبير، كقواعد إسناد الحالات الإعرابية، وقواعد البنية الموقعية التي ترصد ترتيب مكونات الجملة وقواعد إسناد النبر والتنغيم.

فبعد إسناد وظيفتي الفاعل والمفعول نحصل على بنية وظيفية جزئية، تنقل إلى بنية وظيفية تامّة عن طريق إسناد الوظائف التّداولية، وهي جملة من الوظائف التي تسند إلى مكونات الجملة بالنّظر إلى المعلومات الإخبارية التي تحملها هذه المكونات أثناء ارتباطها بطبقات مقامية معينة.

تناول أحمد المتوكّل الوظائف التّداولية، وهي صنفان: " وظائف تداولية خارجية ووظائف تداولية داخلية"[5]، إذ تسند الوظائف الخارجية إلى المكونات التي لا تنتمي إلى الحمل، وهي المنادى، المبتدأ، الذيل، وتسند الوظيفتان الدّاخليتان إلى المكوّنات الحملية، أي داخل الإطار الحملي سواء كانت موضوعات أم لواحق، وهما المحور والبؤرة.

"وهذه على سبيل المثال خمس زمر من الجمل تشتمل على المكون المبتدأ والمنادى والذيل والمكون البؤرة والمحور على التوالي.

1/زيدٌ، استفَدتُ مِنْ مَقَالاَتِهِ.

عمرُو، أَبُوهُ مُسَافِرٌ.

الطَّلَبَةُ، رَجَعُوا إِلَى الدِّرَاسَةِ.

2/أَيُّهَا المُسَافِرُونَ، اسْتَعِدُّوا.

زَيدٌ، لاَ تَتَغَيَّبْ كَثِيرًا.

يَا مُقْبِلًا، ارْجِعْ.

3/الْتَقَيْتُ بِأَخِيهِ، **خَالِدٌ.**

بَهَرَنِي زَيْدٌ، **عِلْمُهُ.**

كَتَبَ زَيْدٌ مَقَالَةً، **بَلْ كِتَابًا.**

4/أَخبَرَنِي **زَيْدٌ** بِالحَادِثِ.

فِي الصَّيْفِ المَاضِي سَافَرْتُ إِلَى الخَارِجِ.

زَيْدًا كَلَّمْتُهُ.

5/عُدْتُ مِنَ السَّفَرِ **لَيْلًا.**

هِنْدًا كَلَّمْتُ لاَ خَالِدًا.

إِنَّمَا كَلَّمْتُ **عُمَرَ"**[6].

ت-أ- الوظيفتان الدّاخليتان:

أولا: البؤرة:

تناول أحمد المتوكّل وظيفة البؤرة من حيث طبيعتُها ومجالُ اشتغالها وورودها، كما عكف على توضيح قواعد الإسناد وما تخضع له من قيود في باب إسناد الحالة الإعرابية للمكوّن الحامل لهذه الوظيفة.

جاء في أبحاث **سيمون** ديك ومقولات أحمد المتوكل" أن وظيفة البؤرة تسند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة"[7]، نحو قولك للّذي يسأل عن زمن عودة زيد ، عاد زيد **البارحة**، أو بتركيب آخر، البارحة عاد زيد .

يُميز أحمد المتوكّل بين نوعين من البؤرة، بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة.

أ) " بؤرة الجديد:

تسند الوظيفة التّداولية بؤرة الجديد إلى المكوّن الحامل للمعلومة الّتي يملكها المتكلّم ويجهلها المخاطب.

ب) بؤرة المقابلة:

تسند الوظيفة التّداولية بؤرة المقابلة إلى المكوّن الحامل للمعلومة التي يختلف المتكلّم والمخاطب في ورودها"[8].

"ونعرّف بؤرة المقابلة بأنها البؤرة التي تسند إلى المكوّن الحامل للمعلومة التي يشك في ورودها أو المعلومة التي ينكر المخاطب ورودها"[9].

وعادة ما يلتبس الأمر على الدّارسين في مسألة التّفريق بين البؤرتين، فما بالك بالقارئ المبتدئ الذي ليس له باع، خصوصا أن النّحو الوظيفي يحتاج إلى نباهة وذوق لغوي سليم، لكي يتمكن القارئ من المواكبة الجادة والبنّاءة، لذلك وُضعت معايير تمكّن الباحث من التّفريق بين البؤريتين، فبؤرة الجديد، تكون في جواب طبيعي لأسئلة محتوية على استفهام.

وهنا نورد أمثلة عن بؤرة الجديد:

- مَاذَا قَرَأتَ البَارِحَةَ ؟
- قَرَأتُ البَارِحَةَ **كِتَابًا**.
- كَيفَ خَرَجتَ اليَومَ ؟
- خَرَجتُ اليَومَ **مُسرِعًا** .
- مَتَى عُدْتَ مِنَ السَّفَرِ ؟
- عُدتُ مِنَ السّفَرِ **أَمْسِ** .
- أَينَ التَقَيتَ صَدِيقَكَ ؟
- التَقَيْتُ صَدِيقِي **فِي الحَدِيقَةِ**.

أمّا بؤرة المقابلة فلها في اللّغة العربية تراكيبها الخاصة التي تميّزها عن المذكورة آنفا، ومن أهم أشكالها التّقديم، الجمل الموصوليّة، الحصر، ... ومن أمثلة ذلك:

- **كِتَابًا** قَرَأتُ البَارِحَةَ.
- **البَارِحَةَ** عَادَ زَيْدٌ.

- **فِي الحَدِيقَةِ** التَقَيتُ صَدِيقِي.
- الَذِي قَرَأتُ البَارِحَةَ **كِتَابًا**.
- إنَّمَا قَرَأْتُ البَارِحَةَ **كِتَابًا**.

كما يميّز بين بؤرة المكوّن التي تخص أحد المكوّنات فقط، وبؤرة الجملة أو بؤرة الحمل برمّته ومثال ذلك:

- مَا الجَدِيدُ؟
- **غَادَرَ زَيدٌ بَيتَهُ**.

أمّا إسناد البؤرة فهو يخضع لجملة معايير خاصة، ذلك " أنّ اللّغة العربية تنتمي إلى نمط اللّغات شفافة التركيب"[10]:

1) "لا موضوع يحمل أكثر من وظيفة من الوظائف الثّلاث في الحمل نفسه.
2) لا وظيفة تسند إلى أكثر من موضوع واحد داخل الحمل نفسه.

ويصدق القيد بشقّيه على الوظائف الدّلالية والوظائف التّركيبية، إلاّ أنّه لا يصدق على الوظائف التّداولية بالنّسبة إلى الشّق الأول"[11].

والعناصر التي لها حق التّبئير خاضعة لسُلَّميّة الأسبقية، وهي العناصر الحاملة للوظائف الدّلالية حال، علّة، مكان، زمان.

- خَرَجْتُ مِنَ القِسْمِ **كَئِيبًا**.
- جِئْتُ لِلمَدْرَسَةِ **بُغْيَةَ التَّعَلُّمِ**.
- صَدَمَتْنِي رُؤيَةُ الأُسْتَاذِ **فِي المَلْعَبِ**.
- أَنْهَيْتُ بَحْثِي **وَقْتَ غُرُوبِ الشَّمْسِ**.

أما في الجملة الآتية :

خَرَجَ التِّلمِيذُ **مُخْلِصًا** بُغْيَةَ طَلَبِ العِلْمِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ.

فالمكوّن (مُخْلِصًا) هو المكوّن الحامل لوظيفة البؤرة -مقابلة- حيث يوحي ملمح الجملة أن التّبئير يكون في أحد العناصر التي تلت مباشرة المكون الحامل لوظيفة المحور (التلميذ) وهو المكوّن الحامل للوظيفة الدّلالية الحال (مخلصًا).

أما لو قلنا :

خَرَجَ التِّلمِيذُ **بُغيَةَ** طَلَبِ العِلْمِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ.

فالمكوّن الحامل للوظيفة الدلالية - علّة - هو البؤرة - مقابلة - و هكذا .

ثانيا: المحور

الوظيفةُ التّداوليةُ الدّاخليةُ الثّانية هي المحور، والتي تسند إلى المكوّن الذي يشكل محطّ الحمل، أي أنّه المكوّن أو الموضوع الذي يُحمل عليه شيء ما في مقام معيّن.

ويمكن إسناد هذه الوظيفة إلى أي مكوّن من مكونات الجملة، إلاّ أنّ المكوّن الحامل للوظيفة التركيبية (الفاعل) يستأثر بها غالبا في عدة صيغ، ومن أمثلة ذلك:

- مَنْ رَجَعَ البَارِحَةَ.
- رَجَعَ **زَيْدٌ** البَارِحَةَ.

و هنا نورد أمثلة توضيحية لموقعيّة مكوّن المحور:

- فَتَحَ **خَالدٌ** البَابَ البَارِحَةَ بِالمِفْتَاحِ.
- كَتَبَ **الطَّالبُ** الدَّرسَ.
- **كُسِرَ الكَأْسُ.**

وهناك التباس في الموقعيّة بين الحور والمبتدأ خاصة" أن تأويل جملة غالبا ما يتجاوز كثيرا الدّلالة التي نعزوها إليها بالمواضعة"[12].

"إنّ اللّغة بحكم طبيعتها العُرفية"[13]تحتّم على الدّارس العودة إلى طبيعة الوضع القائم بين المتكلّم والمخاطب للتّمييز بين المبتدأ والمحور" ويكمن الفرق الأساسي بينهما في أنّ المحور مُحدَث عنه داخل الحمل، أي أنّه مكوّن من مكوّنات الحمل يأخذ وظيفة دلالية ووظيفة تركيبية في حين أنّ المبتدأ مُحدَث عنه خارجي بالنّسبة للحمل، وبعبارة أخرى يشكّل المحور والحديث المحمول عليه حديثا عن المبتدأ".[14]

-**زيدٌ**، اسْتَفَدْتُ مِنْ مَقَالاَتِهِ.

-**القِصَّةُ**، تَصَفَّحْتُ فُصُولَهَا .

ومن أبرز النتائج التي خلُص إليها بحث أحمد المتوكل عن المكوّن المحور أنّه" يمكن أن يحتّل الموقع الذي تخوّله إياه وظيفته التّركيبية أو وظيفته الدّلالية، كما يمكن أن يحتل الموقع (مجموعة خالية م Ø) إلاّ أنّه يحتلّ حسب اتّجاه عام، هذا الموقع الأخير في أغلب الأحوال. وتسند إلى المكوّن المحور باعتباره مكوّنا داخليا أي باعتباره موضوعا من موضوعات الحمل، الحالة الإعرابية المجرّدة الّتي تقتضيها وظيفته الدّلالية أو وظيفته التّركيبية إذا كان حاملا لوظيفة تركيبية الإضافة إلى وظيفته الدّلالية"[15].

ومن الأمثلة التوضيحية لموقعية المحور نورد ما يأتي:

- أعطى **زيد الكتاب** عمرا.
- عِنْدِي **كِتَابٌ**.
- فِي الدَّارِ **رَجُلٌ**.
- كَانَ **زَيدٌ مُتْعَبًا**.

وتوضيحا للوظيفتين الدّاخليتين للبؤة والمحور نأخذ على سبيل المثال الجملتين الآتيتين:

- قَرَأَ **عَلِيٌّ** قِصَّةً (عليّ = محور ، قصة = بؤرة)

– **عَلِيٌّ** كَرِيمٌ (عليّ = محور ، كريم = بؤرة)

حيث يأخذُ المكوّن " عليّ " في الجملتين وظيفة المحور، على أساس أنّه محط أو موضوع الحديث في الجملتين أي أنّه المعلومة المعروفة أو المشتركة بين متخاطبين، ويأخذُ المكوّنان (قصة ، كريم) وظيفة بؤرة جديد، وهي المعلُومة التي يفيد بها أحد المتخاطبين الآخر، وبالتّالي فهي لا تدخل في القاسم المشترك بينهما"[16].

- الوظائف الخارجية:

بعد أن تناول أحمد المتوكّل الوظائف الدّاخلية في الجزء الأول، تناول في الجزء الثاني الوظائف الخارجية، وهي مكوّنات لا تكون داخل الإطار الحملي بل خارجه، وهي ثلاثة : المبتدأ والمنادى التي تأتي عادة قبل الإطار الحملي، أما الذّيل فيأتي متأخرا عنه.

أولا: المبتدأ

استنادا للفروق التي أوردها المتوكّل في الجزء الأول بين المحور والمبتدأ ، يمكن أن نعرّف هذا الأخير على أنّه مكوّن خارج الإطار الحملي، وتحديده لا يمكن أن يتم إلاّ انطلاقا من الوضع التّخابُريّ القائم بين المتكلّم والمخاطب في مقام معين.

ويعرّف بأنّه المكوّن الذي يدل على مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل الذي يليه واردا بالنّسبة إليه، أي أن يكون المتكلّم والمخاطب متّفقين على مجال التّخاطب، بحيث يتعرّف المخاطَب ما سيُحدَث عنه قبل أن يُحادث، ولذا يشترط في المبتدأ أن يكون عبارة مُحيلة- إحالة بعدية -ويمكن صياغة صورته العامة كالتالي:

مبتدأ، [حمل]

ولنمثل له بالجملة الآتية:

قسنطينةُ، تشتهر بجسورها الكثيرة

مبتدأ/مجال الخطاب حمل /الخطاب

يتّضح من هذا المثال أنّ المبتدأ وظيفة تداولية خارجية، تشغل حيّزا خارج الحمل، وتقع عن يمين الحمل، وقد استدلّ المتوكّل عن خارجية المبتدأ بجملة من الأدلّة أهمّها أنّه لا يشكل موضوعا من موضوعات المحمول، ولا يخضع لقيود التّوارد التي يفرضها المحمول على موضوعاته، ولا يحمل وظيفة دلالية ولا وظيفة تركيبية"[17]، كما تدل على ذلك الجمل الآتية:

- **الرِّوَايَةُ**، نَشَرَتْهَا دَارُ النَّشْرِ.

- **زَيدٌ**، أَخَوَاهُ مُسَافِرَانِ.

- **المَدرَسَةُ**، أَعِدُكَ أَنَّهَا لَنْ تُغلَقَ قَبلَ العُطْلَةِ.

- **الحَرْبُ**، اسْتُشْهِدَ دُعَاتُهَا.

والملاحظ أنّ أحمد المتوكّل اشترط في المبتدأ أن يكون خارج الحمل، مع وجود ضمير يعود عليه كما هو موضح في الأمثلة السّابقة.

أمّا عن حالته الإعرابية فكونه لا يحمل وظيفة دلالية ولا تركيبة فهو يأخذ حالة الرّفع بحكم وظيفته التّداولية وهذا استنادا لسلّميّة إسناد العلامات الإعرابية وهي:

وظائف تركيبية - وظائف دلالية - وظائف تداولية.

والأمثلة السابقة كلّها ذات حالة إعرابية واحدة وهي الرفع وعلامتها الإعرابية هي الضمة.

وللمبتدأ مفهوم في التّراث النّحوي العربي يختلف في بعض مواصفاته عن المبتدأ في الأنحاء الوظيفية سواء من حيث الموقعيّةُ، إذ إنه في النّحو العربي يمكن للمبتدأ جوازا أو وجوبا أن يتأخر عن خبره، كما إنه قد يستغني عن عائد يعود عليه إذا كان مسندا إليه تاما، وقد أطال المتوكّل الشّرح في باب المبتدأ، وخلص إلى جملة من النّتائج، ومن ذلك نذكر:

- المبتدأ وظيفة تداولية حسب المقام.

- يتيح اعتبار المبتدأ وظيفة تداولية وصف خصائصه بطريقة أكثر طبيعية؛ إذ إن هذه الخصائص جميعها(معرفيته، موقعه، خارجيته، إعرابه) يمكن أن تفسّر كما رأينا انطلاقا من تعريفه من منظور تداولي.

- يشاطر المبتدأُ في بعض خصائصه، وظائف أخرى كالمحور، البؤرة والذّيل، إلا أنّها تختلف عنه من جهة أخرى، وتتمايز فيما بينها من جهة ثانية.

ولا يمكن إذا ثبت هذا التّمايز الاستمرار انطلاقا من تحليلات نحاتنا العرب القدماء في اعتبارها تحقيقات مختلفة لوظيفة واحدة، وظيفة "المبتدأ"، ولا يمكن بالتّالي الاستمرار في إطلاق المصطلح نفسه"[18].

ثانيا: الذّيل

هو مكوّن مستقل يقع خارج الحمل على اعتبار" الخطاب أنماط تتباين من حيث المضمون ومن حيث الشكل، ولكنّها على تباينها مضمونا وشكلا آيلة إلى بنية خطابية عامة، واحدة ثوابتها في التّداول والدّلالة والتّركيب"[19].

ومن المسلّمات الثّابتة " عدم انفكاك القصدية عن اللّغة"[20]، والذّيل يذهب البعض لمماثلته بالبدل في النّحو التّقليدي.

ويعرّف بأنّه المكوّن الحامل للمعلومة، التي يُقصد بها توضيح معلومة واردة في الحمل،أو تعديلها أو تصحيحها ومن أمثلته :

- أَخُوهُ مُسَافِرٌ، **زَيدٌ**.
- قَابَلتُ أَخَاهُ ،**عَمرُو**.

- نَجَحَا،**الطَّالبَانِ**.
- تَغَيَّبُوا، **الطَلَبَةُ**.
- سَاءَنِي زَيد، **سُلُوكه**.
- قَرَأتُ الكِتَابَ، **نِصفَهُ**.
- قَابَلتُ اليَومَ زَيدًا، **بَلْ خَالِدًا**.
- زَارَنِي خَالدٌ، **بَلْ عَمرُو**.
- سَافَرَ زَيدٌ هَذَا الصّيفَ، **بَلْ مَكَثَ فِي البَيْتِ**"[21].

الملاحظ أن الأمثلة الأربعة الأولى غير مطابقة لتراكيب اللّغة العربية ، فالعائد - الهاء - في المثال الأول يحيل على زيد والأصل أنّ الجملة تكون كالآتي : زيد ، أخوه مسافر.

وهذا ما عابه البعض على أحمد المتوكّل، لكن بعض اللّغويين المعاصرين استنادا لموقعية الذّيل - كما هو موضّح في الأمثلة السّابقة - أكّدوا أنّه لا يحمل وظيفة البدل فقط، بل يحمل وظيفة المبتدأ المؤخّر، وهذا واضح جليّ في الأمثلة السابقة.

ويقترح المتوكّل ثلاثة أنواع من الذّيول:

- ذيلُ التوضيح:

يعطي المتكلّم المعلومة ثم يلاحظ أنها ليست واضحة، فيضيف معلومة أخرى لإزالة الإبهام، مثل: رَأيْتُهُ البَارِحَةَ، **أَخُوكَ**.

- ذيلُ التّعليل:

يعطي المتكلّم المعلومة ثم يلاحظ أنّها ليست هي المقصود، فيضيف المعلومة التي تعدلها، مثل: أَعجَبَنِي أَخُوكَ ،**تَأَدُّبَهُ**.

- ذيلُ التّصحيح:

يعطي المتكلم المعلومة ثم ينتبه أنها ليست هي المعلومة المقصود إعطاؤها، فيضيف المعلومة قصد تصحيحها، مثل: زارني أخوك بل **أبوك**.

"وبذلك يعدّ الذّيل كما توضّحه الأمثلة السّابقة مكوّنا خارجيا لا يتقدّم على الحمل، إذ تحتّم عليه الأدوار التي يقوم بها من توضيح وتعديل وتصحيح أن يتأخر عن الحمل فيكون عن يساره، كما توضحه الصورة العامة الموالية[(حمل)]،ذيل"[22].

وعليه فإنّ الجملة قد تتألّف من مبتدأ وحمل، أومن حمل وذيل ، كما قد تتألّف من مبتدأ و حمل وذيل [مبتدأ،(حمل)،ذيل] ، ويمكن التّمثيل لهذه البنية بالجملة الآتية:

رِوَايَةُ الأَسودُ يَلِيقُ بِكِ، أَلَّفَتهَا فَضِيلَةُ الفَارُوقُ، بَلْ أَحْلاَمْ مُسْتَغَانمِي.

مبتدأ حمل ذيل التّصحيح

- ثالثا:المُنادى:

اقترح المتوكّل المنادى وظيفةً تداولية خامسة ليست واردة في اللّغة العربية فحسب، بل هي واردة في أغلب اللّغات الطّبيعية، فهو وظيفة تسند إلى المكوّن الدّال على الكائن المنادى في مقام معيّن.
ويمكن أن نمثّل له بالجملة الآتية:

- **يَا زَمِيلِي**، هَذَا يَومُ نَجَاحِنَا.
- **يَا تِلمِيذَ المُستَقبَلِ**، لاَ تَنسَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ.
- **يَا رَجُلَ البِلاَدِ**، قُمْ لِحِمَايَتِهَا.

"وليس المنادى وظيفة دلالية كالمنفذ والمتقبل والأداة، ولا وظيفة تركيبيّة كالفاعل والمفعول، لأنّه لا يقوم بأيّ دور بالنّسبة إلى الواقعة التي يدل عليها محمول الجملة، ولا يسهم في تحديد الوجهة "[23]، وقد وضع المتوكّل قيودا تضبط إسناد وظيفة المنادى منها قيدان أساسيان:
- يشترط في المنادى أن يحيل على كائن حيّ لا جماد.
- يستوجب أن يكون المنادى مُحيلا على المخاطب دون المتكلّم والغائب.
ومثال ذلك:

- **يَا زَيدٌ**، حَضَرَ الضُّيُوفُ.
- **يَا زَيدٌ**، قَابَلتُ ضُيُوفَكَ.

وأوضح المتوكّل أنّ المنادى موقعه خارج الحمل؛ على اعتباره يحمل قوّة إنجازية هي النّداء تخالف القوّة الإنجازية للحمل، التي تختلف بحسب التّركيب إمّا الأمر، السّؤال أو الإخبار؛ كما هو موضح في الأمثلة الآتية:

- **يا زيدٌ**، سَاعدْ أَخَاكَ.
- **يا زيد**، هَلْ عَادَ أَخُوكَ
- **يا زيد**، قابل خالدٌ عمرًا البَارِحَةَ.

و يعود إهمال المتوكّل للمنادى الجماد كونه لا يحقق للنّداء قوّته الإنجازية، فبعض التّراكيب ذات غرض بلاغي صرف متعلّق بالحالة النّفسية للمتكلّم،غير متطلّعة للمقصديّة التي تستدعي إنجازا، نحو قولنا: يا بحر ، خفف الوطء عليّ.
أو كقول امرئ القيس :

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِ بِصُبحٍ وَمَا الإِصبَاحُ مِنكَ بِأَمثَلِ.

وعادة عندما يقترن النّداء بالجمادات، غرضه البلاغي هو التّمني، وإظهار والضّعف والحسرة، وللنّداء جملة من الأدوات تختلف في الاستعمال لأنّ" إسنادها يرتبط ارتباطا وثيقا بالسّياق في بعده المقامي والمقالي"[24]، كما " يجب ألاّ نتعامل مع العبارات اللّغوية على أساس أنّها موضوعات مُنعزلة، بل على أساس أنّها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معين في إطار سياق"[25].

أمّا في باب سُلّميّة تحديد الحالات الإعرابية للمنادى في اللّغة العربية الفصحى" التي تتحقّق في شكل لواصق، فباعتباره لا يحمل وظيفة دلالية ولا تركيبية، بل هو مكوّن خارجي يحمل وظيفة تداولية وبمقتضاها يأخذ الحالة الإعرابية النّصب ، وهو ما يخالف جزئيا ما جاء في أقوال النّحاة العرب القدماء في أنّ المنادى ينصب إذا كان نكرة غير مقصودة أو مضافا أو شبيها بالمضاف ويبنى على ما يرفع به إذا كان نكرة مقصودة أو معرفة.[وهو في هذه الأحوال في محل نصب على النداء].

خاتمة:

في الختام خلصنا إلى النّتائج الآتية:

- عمد المتوكّل إلى كتابه الوظائف التّداولية في اللّغة العربية، بعد أن بحث جيّدا في نظرية النّظم للجرجاني وفي فكر اللّغويين العرب قديما.

- تنقسم الجملة في اللّغة العربية من حيث مقولة المحمول التركيبية إلى ثلاثة أقسام: جملة فعلية، جملة اسمية وجملة رابطيّة، ويندرج تحت كل قسم من أقسام الجمل الثلاث باعتبار الوظائف التداولية أنماط الجمل الآتية: - جمل مبتدئة، جمل مذيّلة، جمل بؤرية، جمل محورية وجمل ندائية.

- الوظائفُ التّداولية في اللّغة العربية في إطار النّحو الوظيفي خمس؛ منها اثنتان داخليتان، وهما: المحور والبؤرة، وثلاث وظائف خارجية هي: المبتدأ، المنادى والذيل.

- تسند الوظائف التداولية بعد إسناد الوظائف الدّلالية والتّركيبية بحيث إنه لا موضوع يحمل أكثر من وظيفته في الحمل نفسه، ولا وظيفة دلالية ولا تركيبية تسند إلى أكثر من موضوع واحد داخل الحمل نفسه، أمّا الوظائف التّداولية الدّاخلية فيمكن أن تسند إلى أكثر من موضوع.

- أحمد المتوكّل في كتابه الوظائف التّداولية في اللّغة العربية، أراد أن يمحص الأطروحة القائلة بإمكانية إقامة حوار مثمر بين الفكر اللّغوي العربي القديم والفكر اللّساني الحديث؛ على أساس القرض والاقتراض رغم انتماء الفكرين إلى حقلين نظريين متباينين.

الإحالات:

1- الزايدي بودرامة، النّحو الوظيفيّ والدّرس اللّغوي العربي(دراسة في نحو الجملة)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014م، ص (مقدمة ج).

2- أحمد المتوكل، التركيبيات الوظيفية قضايا ومقاربات، دار الأمان الرباط، ط1، 2005، ص 21-22.

3- عبد العليم إبراهيم، النّحو الوظيفي، دار المعارف، القاهرة ط9، ص (مقدمة ط).

4- المرجع السابق، ص23.

5- أحمد المتوكل، قضايا اللّغة العربية في اللّسانيات الوظيفية، دار الأمان الرباط، د ط، 2001، ص110.

6- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية، دار الثقافة، المغرب،ط1985،1، ص07.

7- المرجع السابق، ص28.

8- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللّغة العربية، منشورات الاختلاف،الجزائر. ط1 . 2010،ص126.

9- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص29.

10- أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان،ط1، 2006، ص 31.

11- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية، دار الثقافة ، المغرب،ط1، 1985،ص40،41.

12- آنروبول، جاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: دغفوس والشيباني، دار الطليعة،لبنان،ط1، 2003،ص55.
13- أبوبكر العزاوي: اللّغة والحجاج، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص124.
14- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص70.
15- المرجع نفسه، ص108.
16- يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص215.
17- المرجع نفسه، ص212.
18- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللّغة العربية، ص143.
19- أحمد المتوكل، الخطاب و خصائص اللّغة العربية، ص181.
20- عبدالرحمن طه، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف، ص10.
21- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص144.
22- يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص213.
23- المرجع السابق، ص161.
24- أحمد المتوكل، قضايا اللّغة العربية في اللّسانيات الوظيفية، ص109.
25- أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي، الأصول والامتداد، ص64.